Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمكن أن يعيشوه . إنهم ، كما يقول ، باتوا يرغبون في رؤية انعكاسات حقيقية للعالم الذي يحيون فيه ، وكذلك لحقيقة تاريخ المجتمع ولحسنات العصر وسيئاته[٢] . كما يذكر دي لاباتاي ، لقد أحس الناس بضرورة وجود كتابات أدبية تُعنى بتصوير واقعي للشخصيات لا بتصوير خيالي لها بعيد عن الحقيقة التي لم يكن بمقدور القرار الاجتماعي والسياسي والثقافي العيش خارجها . ويتأكد هذا التحليل برأي قيل بعد حوالي مئة سنة من كلام دي لاباتاي . إنه حديث الروائي الإنكليزي الدكتور جونسون (Dr. Johnson) الذي يذكر سنة ١٧٥٠ أن الأعمال الروائية التي تعجب الأجيال المعاصرة هي التي تحوي عرضاً للحياة بحقيقتها ، وذكراً للأحداث التي تحصل كل يوم[٣] . ولعل هذا التحليل يستمر صالحاً حتى اليوم حين يرى الباحث أن ناقداً رصيناً ومعاصراً مثل رينه ويلك (René Wellek) يشهد أن الواقعية الأدبية أصبحت تمثيلاً للواقعية الاجتماعية المعاصرة[٤] .

لكن ، لمن كان يَتوجَّهُ هذا النوع من الكتابة الأدبية ؟ مَنْ هو الجمهور الذي آثر الاهتمام بالرواية الواقعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، واستطاع أن يفرض باهتمامه هذا منحىً جديداً على « الفعل الروائي » كان منطلقاً لتطور تاريخي في العمل الروائي ؟ في الواقع إنه الجمهور الذي بدأ يعيش إرهاصات الثورة الصناعية في أوروبا ، وبدأ يحيا تخلخل كثير من المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية والجمالية القديمة . إنه ذلك الجمهور الذي بدأت جذوره الممتدة في عمق الوجود الإنساني ترتعش بالحياة مع بدايات انهيار نُظُمٍ سياسية معينة وملكيات سيطرت لقرون عديدة على مقدراته وتوجهاته . إنه الجمهور الذي عانى القهر والتسلّط ، والذي دفع ثمن معاناته جهلاً وتحقيراً . إنه الطبقة الدنيا من المجتمع التي بدأت تستعد للتنفس ولإستيعاب فكرة تقول بقدرة هؤلاء الناس على عيش حياة هم يصنعونها وهم الذين يصنعون قيمها ومفاهيمها . ولعل الجواب على التساؤل السابق يأتي أكثر وضوحاً في كلام الدكتور جونسون نفسه . إنه يرى أن الروايات تُكْتَبُ بصورة أساسيَّة للصغار والجهلة والأغبياء ، إنها تُؤلَّفُ للذين يمكن أن تكون لهم بمثابة محاضرات عن الانضباط والتعامل مع الحياة[٥] .